الجزيرة العربية (١)

في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها

محمد المنوني

وستمدد هذه الدراسة مفهوم المغرب الاقصى الى ما يشمل الاندلس ، ليتناول العرض الجغرافيات والرحلات في الغرب الاسلامي حسب الابواب التالية :

ـــ مدخل تمهيدي عن بدء العدوتين بالتأليف في هذا الاتجاه ، مع لمحة عن تطور كتابة الرحلات المغربية .

ـــ نماذج من معطيات هذه الرحلات في التعريف بالحرمين الشريفين .

ـــ عرض الجغرافيات الاندلسية والمغربية ، وعددها تسعة .

ـــ عرض ١٢ رحلة مختارة من الرحلات الاندلسية والمغربية .

ـــ لقطات دفينة من نمط إفادات الجغرافيات والرحلات .

١ ـــ المدخل

بدأت كتابة الجغرافيات بالاندلس مع أبي عبيد البكري : في النصف الثاني من المائة الهجرية الخامسة ، ثم كان أول مغربي ألف في الموضوع ذاته هو الشريف

(١) اعد بمرسم الندوة الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية المنعقدة بالرياض اخيرا

الادريسي : خلال النصف الأول من القرن السادس للهجرة .

ومن أوائل المائة الثامنة هـ ينقطع من العدوتين معا ـــ التدوين الجغرافي ، حيث يقفل الحميري هذا الباب بكتابه « الروض المعطار » .

وأول رحلة حجازية أندلسية هي التي دونها ابن جبير ، عن حجته التي بدأ السفر لها ـــ من غرناطة ـــ عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م .

وأقدم الرحلات من العدوة المغربية ، يعود تاريخها الى أواخر المائة الهجرية السابعة ، حيث سافر ـــ من بلدته سبتة ـــ ابن رشيد : محمد بن عمر ابن محمد الفهري ، وقد بدأ وجهته ـــ للبقاع المقدسة ـــ من أواخر عام ٦٨٣ هـ (١)

ثم عرفت المائة الهجرية الثامنة اثنتين من هذه المدونات : واحدة من المغرب : تحفة النظار لابن بطوطة ، ابتداء من عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م . والثانية من الأندلس : « تاج المفرق » للبلوي : ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م .

وبعد هذا التاريخ تتوقف كتابة الرحلات الحجازية زهاء ثلاثة قرون ، ولايستثنى من ذلك سوى رحلة القلصادي : علي بن محمد بن محمد الاندسي البسطي ، وكانت حجته عام ٨٥١ هـ / ١٤٧٦ م ، وهو يدرج حديثها ضمن فهرس أشياخه (٢) .

وان هذا الفراغ في تدوين الرحلات ، يكشف عن تراجع سفر المغاربة للحجاز خلال هذه الحقبة الطويلة ، ويبدو أن من سبب ذلك اشتغال من يهمهم الأمر في العدوتين ، بمقارعة المد الاجنبي الذي دهم الغرب الاسلامي .

ولما سقطت الاندلس انتهت منها كتابة هذه الرحلات بالعربية (٣) .

أما المغاربة في العدوة الاخرى ، فقد استانفوا التأليف في هذا الاتجاه انطلاقا من المائة الحادية عشرة هـ ، غير أنه بدأ الضعف يسري لمنهجية العرض : تطويل بالاستطرادات التي قد تكون بعيدة عن الموضوع ، أو اختصار الى حد السرد والاجحاف .

وفي هذا الاطار أخذ تدوين الرحلات يتكاثر في القرنين : الثاني والثالث عشر هـ ،

على ان بعض مدوناتها المعاصرة : « ق ١٤ هـ » على قلتها، ارتقت عن سابقاتها في أسلوبها وتعبيرها ، وتجاوبت مع مقتضيات التطور الحديث .

★ ★ ★

والآن : نذيل هذا المدخل بالاشارة الى احدى الميزات التي تتسم بها الرحـــلات المنوه بها ، فهي لما يصل بها المطاف الى الحجاز ، انما تهتم — فـــي الغـــالب — بارتساماتها عن الحرمين الشريفين ، مع المسالك المؤدية اليهما عبر جدة ، أو على طريق مصر أو الشام ، وقليلا طريق العراق : الجهة التي سلكها ابن جبير عند عودته ، ثم سافر عليها ابن بطوطة مرتين .

أما الجغرافيات فهي تمتاز بطابع الوصف الشمولي للاماكن : ببلدانها وقراها وخواصها وما إلى ذلك كله ، مع استيعاب بعض المؤلفين للمسالك التي تربط بين الجهات .

٢ — نماذج من معطيات الرحلات في التعريف بالحرمين الشريفين

وهي معطيات منوعة تحفل بها عدد من الرحلات : أندلسية ومغربية ، فتسبغ على هذه المدونات أهمية خاصة في الكشف عن ألوان وألوان من حضاريات الحرمين الشريفين.

فحينما يجلي الرحالون معماريات المسجدين المعظمين ، يحتفظون بالطابع الذي كان عليه أحد المعهدين الكريمين في فترات معينة .

فابن جبير يصف المسجد النبوي الشريف (٤) قبل أن يغير معالمة الحريق الذي نشب به في عام ٦٥٤ (٥) هـ .

ثم يرحل بعده كل من التجيبي (٦) وابن بطوطة (٧) والبلوي (٨) ، وثلاثتهم يصفون المسجد الحرام قبل حريق وسيل عام ٨٠٢ هـ (٩)

بينما يأتي وصف الأخيرين للمسجد النبوي (١٠) قبل أن يمسه حريق عام ٨٨٦ (١١) هـ وفي القرن الهجري الحادي عشر ، يشير العياشي الى السيل الجارف الذي غمر البيت الحرام ،وأدى الى سقوط بعض جوانبه عام ١٠٣٩ هـ / ٢٩ — ١٦٣٠ م

ثم يتحدث — وهو شاهد عيان — عن سيل مماثل دهم نفس المكان عام ١٠٧٣ هـ

/ ١٦٦٢ م، ويصف الاصلاحات التي ادخلت على المسجد الحرام بعد الحدث(١٢).

وكان أعلام الحجاج المغاربة ، يضيفون الى النسك والزيارة العناية بالأخذ — دراية أو رواية — عن مشايخ البلدين المكرمين ، ولهذا يطفح عدد من الرحلات المغربية بلوائح لأعلام هذه الجهات : المقيمين أو المجاورين، على أن بعض المؤلفين يسجلون لأساتذتهم تراجم قد تشتمل على معلومات تخلو منها المعاجم الموضوعية (١٣) ، ومنهم من يثبت نصوص الاجازات (١٤) .

★ ★ ★

والمؤلفون الذين يجاورون فتطول إقامتهم ، يدونون ارتساماتهم عن المظاهر الحضارية بالبقاع المقدسة ، فتستوعب الاقتصاد والعادات والأزياء ومواكب الأمراء وأنظمة الاغوات وما إلى ذلك (١٥)، ووصف ابن بطوطة بلاط سلطان اليمن (١٦) . وبمقارنة عصور هذه الارتسامات انطلاقا من عهد ابن جبير فما بعده ، نتبين مدى تطور هذه المعطيات الحضارية في قلب الجزيرة .

★ ★ ★

ومن جهة أخرى كان للمثقفين من الحجاج ، شغف بالبحث عن الذخائر ونوادر المؤلفات ، ونماذج هذه الظاهرة كثيرة .

فابن جبير (١٧) والتجيبي (١٨) وابن بطوطة (١٩) : يعتز جميعهم برؤية المصحف العتيق : المنسوب للخليفة الراشد : عثمان بن عفان ، حيث كان محفوظا بالبيت الحرام .

كما يذكر ابن جبير خزانة المالكية بالحرم المكي(٢٠)، ثم مصحف نفس الخليفة بالمسجد النبوي (٢١) .

ويتحدث ابن بطوطة (٢٢) عن اختزان المصاحف الكريمة والكتب في قبة الشراب التي تلي قبة بير زمزم ،ونحو منه عند البلوي ، وهو يتحدث — أيضا — عن خزانتين كبيرتين بالمسجد النبوي : للكتب والمصاحف الموقوفة (٢٣) .

ومن الواضح أن هذه المشاهدات تمتد أزمنتها من أواخر المائة الهجرية السادسة حتى أواسط الثامنة .

وفي القرن الحادي عشر هـ يقول السراج (٢٤) وهو يذكر — في رحلته — المسجد النبوي :

وبازاء المحراب من جهة المشرق ، خزانتان كبيرتان تحتوي على كتب علمية ، ومصاحف قرءانية ، موقوفة على المسجد المبارك .

ثم يشير العياشي — في الفترة ذاتها — الى الذخائر والمكاتب بالحرمين الشريفين .

ففي المدينة المنورة بالمسجد النبوي : ربعات المصاحف العتيقة ، وأجزاء قرءانية كريمة ، وخزائن الكتب العلمية الموقوفة بالمقام الشريف برسم الاعارة (٢٥) .

ثم خزانة خاصة لصديق المؤلف : أحمد بن التاج ، وكانت عامرة (٢٦) .

وثالثا : خزانة كتب وقف السلطان قايت باي جوار المسجد النبوي (٢٧) .

وبمة المكرمة : يذكر المؤلف ذاته خزانة خاصة لشيخه أبي مهدي عيسى الثعالبي ، وكان وضعها بأحد أروقة البيت الحرام ، ثم أتلفها السيل الذي دهم المسجد الحرام عام ١٠٧٣ هـ (٢٨) / ١٦٦٢ م .

ثم خزانة رباط الموفق (٢٩) ، ومن نوادرها عدة أجزاء من رحلة ابن رشيد في وقف المغاربة بهذا الرباط (٣٠) .

وأخيراً : خزانة رباط قايت باي (٣١) .

ومن أبي سالم العياشي ننتقل الى رحلة الغنامي ، حيث ترد بها الفقرة التالية (٣٢) ، في مذاكرة لمؤلفها مع استاذه سليمان الحصيني (٣٣) ، وكان السياق هكذا :

« . . . فسألته هل هنا بالمدينة المشرفة كتب ؟ قال لي : ما من عالم صنف كتابا بالمشرق او بالسند أو الهند أو العراق أو غيره من الاقاليم ، الا يصرف نسخة للمدينة المشرفة ، تبركا ورجاء الاقبال على كتابه ، اطلب ما شئت تجده موجوداً في كل فن من العلوم .

ويتابع الرحالة الحديث مع استاذه ويقول : ورأيت مصاحف كبيرة الجرم قريباً من الروضة المشرفة ، فسألته فقال لي : حبس .

فسألته عن مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال لي : ما رأيته

سوى مرة واحدة ، في صندوق داخل بالروضة المشرفة ، لا يخرج منها الا عند الدواهي العظام . . .

فسألته عن جرمه ، فقال لي : يعمل طوله مقدار الربع من الشاطبي (٣٤) ، وغلظه يعمل نحو أربعة أصابع .

فسألت عن كتابته ، فقيل لي : مكتوب بالكوفي . . .

وقد كان حوار الغنا في هذا الموضوع المكتبي اثناء رحلته عام ١١٤٢ هـ / ١٧٢٩م

وبعد هذا التاريخ بعام واحد : ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠ م ، يثير انتباه الإسحاقي التفسير المنظوم الذي رجزه العالم المكي الضرير : عبدالله الاسكندري (٣٥) ، وقد لقي مؤلفه بمكة المكرمة .

واذا انتهينا الى أواخر المائة الثانية عشرة ، نلتقي بالرحلة الناصرية الكبرى ، حيث يعقد مؤلفها فصلا لما وقف عليه بمكة المكرمة من الكتب النادرة . (٣٦)

وفي نحو التاريخ المشار له ، يزور الزياني خزانة وقف السلطان قايت باي بالمدينة ذاتها ، ويفيد من احد محفوظاتها : تاريخ الاسلام للذهبي ، في ٧٠ جزءاً (٣٧) .

وبعض الرحالين تثير انتباههم مشاهد خاصة بالبقاع المقدسة ، فيسجلونها ويبرزونها ضمن ارتساماتهم .

فابن جبير يشير للتهنئة بالهلال الجديد ، وهي — حسب تعبيره — سيرة الجهات المشرقية كلها ، يتصافحون ويهنئ بعضهم بعضاً كفعلهم في الاعياد (٣٨) .

ويصف هو (٣٩) وابن بطوطة (٤٠) موكب امير مكة المكرمة في زيارته للبيت الحرام عند استهلال الشهور .

أما التجيبي فتنتزع اعجابه تلاوة القرآن العزيز بالتلاحين الشرقية ، وهو يقول في حديثه عن ليالي رمضان بالمسجد الحرام :

« . . . ووصل — في جملة المصريين جماعة من القراء المعروفين بحسن الصوت وطيب النغمة ، وكانوا يجتمعون في كل ليلة بازاء باب بني شيبة من الحرم الشريف ، فيقرأون جزءاً من الكتاب العزيز — متراسلين — بالتلاحين ، على عادة القراء في هذه

البلاد المشرقية ، فكانت تكاد تخشع لحسن أصواتهم الجمادات . . .

وكان لاولئك القراء المذكورين واحد كان مقدمهم ، وكان من احسن الناس صوتا بالقرآن العظيم ، وكان — نفعه الله تعالى — اذا ذهب جزء من الليل قصد المدرسة المنصورية ، وصعد على أعلى سطحها المشرف على الحرم الشريف ، وتلا هنالك جزءاً من الكتاب العزيز ، رافعاً بذلك صوته العجيب ، بحيث يسمعه كل من في المسجد الحرام ، ويصغي اليه ويستطيبه . . . » (٤١) .

وسوى هذا فالتجيبي يلاحظ تعدد الأئمة بالحرم المكي المكرم : أربعة في وقت واحد ، لكل مذهب من الأربعة إمام وموقف خاص لمصلي اهل مذهبه ، ثم يعقب باعلان النكير على هذه البدعة التي حدثت بالحرم الشريف .

ولا يفوت بعض الرحالين مثل البلوي والسراج ، أن يثبتوا — في رحلاتهم — نصوص الكتابات والتواريخ المرقومة على الواجهات بالمسجدين الكريمين (٤٣) .

وهذا ابو سالم العياشي (٤٤) يقارن بين البلدتين المشرفتين ، ويستنتج وضـــوح الطابع الحضاري في حياة سكان المدينة المنورة ، فهم أهل رفاهية وتوسع في معاشهم ، وتغال في ملابسهم الفاخرة ، على خلاف حال أهل مكة .

ولما حج أبو علي اليوسي ، اثار انتباه مدون رحلته الكوكب الدري ، المعـــلق — بالمسجد النبوي — في مواجهة الروضة الكريمة : وهذا الكوكب ياقوتة اشتراها السلطان مراد العثماني ، باثني عشر الف دينار ذهبا ، وأمر أن توضع بالحـــجرة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام (٤٥) .

★ ★ ★

والى هنا ينتهي عرض جملة من ارتسامات هؤلاء الرحالين عن المعطيات الحضارية للحرمين الشريفين .

ويصل بنا المطاف الى تقديم بطاقات تعريف — قد تطول أحيانا — بما تتخيره هذه الدراسة من الجغرافيات وعددها تسعة ، ثم من الرحلات وعددها اثنا عشر ، ليأتي تصنيف كل من القطاعين على حدة ، مرتباً حسب التسلسل التاريخي .

٣ ــ الجغرافيات

١ ــ معجم ما استعجم ، من أسماء البلاد والمواضع

لأبي عبيد : عبد الله بن عبد العزيز بن أبي مصعب البكري الأندلسي ثم الاونبي : المتوفى عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٧ م .

صنفه مؤلفه على الترتيب الهجائي المغربي ، وشرح فيه ــ حسب تعبيره ــ جملة ما ورد في الحديث والأخبار ، والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والأمصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والديارات والحرار ...

واذا أخذنا في الاعتبار أن البلاد والمواضع كلها بالجزيرة العربية ، نتبين أن الكتاب معجم جغرافي يختص بوصف أمكنة هذه المنطقة .

والى هذا : يصدر المؤلف معلمته بمقدمة مطولة تتناول حدود البلاد العربية وأقسامها وقبائلها (٤٦) .

طبع معجم ما استعجم مرتين : الاولى في مدينة جو تنجين بألمانيا ، على المطبعة الحجرية بخط ناشره ومحققه : المستشرق الألماني : فيستنفلد ، وصدر في مجلدين سنة ١٨٧٦ ــ ١٨٧٧ م .

ثم أعيد نشره بتحقيق العلامة المصري مصطفى السقا ، في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، وصدر في أربعة أجزاء ، تتسلسل صفحاتها الى ١٤١٢ . عدى المقدمة والفهارس .

الجزء الأول سنة ١٣٦٤ / ١٩٤٥ .

الجزء الثاني سنة ١٣٦٦ / ١٩٤٧ .

الجزء الثالث سنة ١٣٦٨ / ١٩٤٩ .

الجزء الرابع سنة ١٣٧١ / ١٩٥١ .

غير أنه يؤخذ على المحقق المصري ، تصرفه في الترتيب المعجمي المغربي الذي سار عليه المؤلف ، وتحويله إلى الترتيب المشرقي ، على حين أن منهجية التحقيق تفرض الاحتفاظ بالنص في مشخصاته كاملة ، حتى اذا عرضت ضرورة

ملحة لترتيب مغاير ، فليكن ذلك باضافة فهرس على الترتيب المشرقي للحروف .

٢ — المسالك والممالك

وهو المؤلف الثاني للبكري في الجغرافيا ، غير أن هذا لم يرتبه على الحروف ، وانما صنفه حسب الممالك ، بعد تصديره بمقدمة في عدة فصول ، وخصص فصلا منها لاخبار العرب العاربة ، وآخر عن جزيرة العرب ، وبعد موضوعات متنوعة ، يبدأ بذكر الممالك : انطلاقاً من الهند ، فالصين ، فملوك السريان ، فملوك الفرس ..

ومن آسيا ينتقل الى افريقيا ، فأوربا ، ثم يعود الى بلاد العرب مع موضوع ملوك اليمن وملوك الحيرة ، ثم جغرافية الجزيرة العربية .

★ ★ ★

ان قطعة البكري التي تتناول هذه المنطقة العربية لا تزال لم تنشر ، والمعروف منها — الآن — ثلاث مخطوطات : اثنتان بالاستانة ، وهما — معا — موصوفتان .

أ — مخطوطة مكتبة لاله لي رقم : ٢١٤٤ .

ب — مخطوطة مكتبة نور عثمانية رقم : ٣٠٤٣ .

ويستظهر الدكتور عبد الرحمن علي الحجي (٤٧) : ان هذه الأخيرة متطابقة في موضوعاتها — الى حد كبير — مع المخطوطة الأولى ، وهو يصف نسخة لاله لي في الفقرة التالية .

«ويظهر ان بداية هذه المخطوطة تمثل بداية كتاب المسالك والممالك ، فيبدأ بعمارة الأرض وبدء الخلق ، والحديث عن الانبياء عليهم السلام ، وخلال ذلك يتحدث عن عادات الشعوب وعباداتهم وجغرافية بلدانهم ، ويقسم الأرض المعمورة الى أقاليم سبعة ، كما هو العادة لدى الجغرافيين المسلمين ، ويتكلم عن بعض الظواهر الجغرافية كالمد والجزر ، كما يتحدث عن جزيرة العرب والحجاز ، وخلال ذلك يتحدث عن النواحي الجغرافية ، كالعيون والانهار وغيرها ، ثم عن بعض مناطق افريقية ، ثم عن الصقالبة والافرنجة والجلالقة والنوكبرد ، ثم يعود الى الجزيرة العربية شمالا وجنوبا ، كما يتحدث — أيضا — عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم » .

والى هنا نكون قد تبينا محتوى المخطوطتين الشرقيتين من كتاب المســـــالك والممالك .

ويصل بنا المطاف الى النسخة الثالثة من القطعة ذاتها ، وهي مغربية (خاصة) .

وبمقارنتها مع وصف السابقتين ، يتبين انها مخطوطة ثالثة تعزز نســـــختي الاستانة ، ورغما عن ان هذه مبتورة الطرفين ، فهي تمتاز عن نظيرتيها بزيادة ذكر أهرام مصر وملوكها في ٢١ ورقة ختامية .

أما محتوياتها فهي تبتدئ بذكر النبي سليمان بن داود عليهما السلام ، ثم بعض أنبياء بني اسرائيل من بعده ، الى زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ، ثم يونس ابن متى عليه‌السلام . ثم طائفة من الدعاة للإيمان ممن كانوا بين موسى وعيســـى عليهما السلام ، وقد استغرقت هذه الموضوعات من ورقة ١ ،أ ، الى ٦ ،ب .

وبعد هذا تأتي العناوين التالية :

— ذكر شيء من أخبار العرب العاربة . والامم الداثرة . ومذاهب العرب وديانـاتهم وسيرهم واعتقاداتهم ، ٧ ،أ — ٢٠ ،ب .

— جملة القول في جزيرة العرب ، ٢٠ب — ٢٣ب .

— الأرضون والأنهار ، ٢٣ب — ٢٤أ .

— الأقاليم السبعة ، ٢٤ ،أ — ٢٨ب .

— القول في البحار والأنهار ، ٢٨ب — ٣٨أ .

— ذكر البحر المحيط وعجائبه وجمل من عجائب سائر البحار المــتقــدم ذكرها سوى ما ذكرنا من ذلك ، مستخرجاً من كتاب عجائب البلدان ، ٣٨ أ — ٤٦ أ

— ذكر الأنهار والعيون ، ٤٦ أ — ٥٢ ب .

— ابتداء الممالك : مملكة الهند ، ٥٢أ — ٥٩ب .

— ملوك الصين والترك . . . . ٥٩ب — ٦٤ب .

— ذكر ملوك السريانيين ، ٦٤ب — ٦٧أ .

— ملوك الفرس الأول وأنسابهم ، ٦٧أ — ٦٩ب .
— الفرس الثانية ، ٦٩ب — ٧٨أ — ٧٩ب .
— ملوك اليونانية ، ٧٩ب — ٨١ب .
— ذكر ملوك الروم ، ٨١ب — ٨٦ب .
— ذكر ممالك السودان ، ٨٦ب — ٩١ب .
— البربر ، ٩١ب — ٩٢ب .
— ذكر الصقلب ، ٩٢ب — ٩٦أ .
— ذكر الافرنجة ، ٩٦ . أ .
— الجلالقة ، ٩٦ أ — ٩٦ ب .
— الكرد ، ٩٦ب — ٩٧أ .
— ملوك اليمن ، ٩٧أ — ١٠١ب .
— ذكر ملوك الحيرة ، ١٠١ب — ١٠٢ب .

وبعد هذا الرقم يقع بالمخطوطة بتر بمقدار ١٣ ورقة ، ثم ينتقل الكلام بعدها الى الحديث عن أهرام مصر وملوكها ، في ٢١ ورقة مضطربة الترتيب ، حيث ينتهي الموجود من هذه النسخة من كتاب المسالك والممالك .

وحسب الوصف — المشار له سلفاً — لمخطوطتي الاستانة ، يبدو أن المخطوطة المغربية تزيد عليهما بالموجود بها عن اهرام مصر وملوكها ، وهو الوارد بالورقات الختامية : ١٠٣ أ — ١٢٣ ب .

توجد هذه النسخة المغربية في حوزة جامع هذه الشذرات ، وقد صورتها بعثة معهد المخطوطات العربية أثناء زيارتها للمغرب عام ١٩٧٢ .

تشتمل هذه المخطوطة على ١٢٣ ورقة ، وكانت — في الاصل — مرقمة بحساب القلم الفاسي ، وبعد حل هذا الحساب الى الارقام المتداولة ، تبين أن هذا السفر سقط من أوله ٣٦ ورقة ، زيادة على اوراق اخرى ضاعت من أثنائه .

مسطرتها ١٩ ، مقياس ٢٨٠ — ٢١٠ .

خط أندلسي واضح عتيق مليح مشكول مصحح ، خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ ، ويبدو من خطها أنها أقدم من نسختي الاستانة .

غير أن المخطوطة المغربية يقع بها بياض مقدار كلمتين في موضوعين من ورقة ٣٨ ب . بالسطر ١٦ ، كما يوجد بها بعض الزيادات التي ادخلها الناسخ على المتن الاصلي : عند ورقتي ٤٧ أ . و ٥٢ ب ، على أنه يصدر الالحاقين بكلمة « قال الناسخ » .

وقد ورد بالزيادة الاولى التصريح بأن صاحبها كان بقيد الحياة عام ٥٥٥ هـ ، مما يقرب تاريخ كتابة هذه المخطوطة .

والآن نشير الى أن هذا العرض استبعد ذكر مخطوطتين رابعة وخامسة من المسالك، حيث لا تشتمل واحدة منهما على ذكر الجزيرة العربية .

الرابعة : خ . ع ، ق ٤٨٨ ، غير أن هذه تحتفظ بكامل النص الذي يذكر أهرام مصر وملوكها (٤٨) .

الخامسة : بالمكتبة الوطنية بباريز رقم : ٢٢١٨ : القسم العربي ، وتتناول مصر والمغرب على خرم يتخلل القسم المصري .

لا زال هذا الكتاب لم ينشر كاملاً ، وانما طبعت منه قطعتان :

الاولى : عن نسخة باريز ، حيث نشر القسم المغربي بالجزائر من عام ١٨٥٧ م ، بعنوان «المغرب . في ذكر بلاد افريقية والمغرب» بتحقيق المستشرق البارون دي سلان ، الذي ترجم النص العربي الى الفرنسية في السنة التالية .

الثانية : قسم الامصار من الاندلس واوربا وهو الذي حققه الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، ونشر بدار الارشاد في بيروت عام ١٣٨٧ / ١٩٦٨ .

٣ ــ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

للشريف الادريسي : محمد بن محمد بن عبدالله الحسني العالي بأمر الله ، السبتي ، المتوفى عام ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م (٤٩) .

لم تطبع النزهة كاملة ، ونشر منها قطع عديدة تتعلق بجهات خاصة في أوربا

وافريقيا وآسيا ، كما نشر — على حدة — المبحث الذي يتعلق بمكة المكرمة (٥٠) .

ويجري — الآن — نشر النزهة كاملة بمطبعة بريل في ليدن ، بمبادرة المعهد الجامعي الشرقي لنابولي ، حيث يوجد ضمن المطبوع معظم ما يتعلق بالجزيـــرة العربية ، موزعاً بين الجزء السادس من الاقليم الاول : ص ٥٢ — ٥٧ ، مع الجزأين : الخامس والسادس من الاقليم الثاني : ص ١٣٨ — ١٦٥ ، ولم تصلنا — بعد — بقية الكراسات المنشورة من النزهة .

٤ — روض الفرج ونزهة المهج

مختصر في الجغرافيا العامة ، من تأليف الشريف الادريسي أيضاً .

مخطوط في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا باسطنبول رقم ٦٨٨ ، ومنه مصورة بالخزانة العامة بالرباط رقم د ٣٦٦٥ في ١٦٥ لوحة ، بخط شرقي مليح . وجاء في آخره :

« . . . تمام كتاب روض الفرج . ونزهة المهج ، الذي ألفه محمد بن محمد بن عبدالله ابن ادريس الحسيْني (كذا) ، العالي بأمر الله ، واشتمل الفراغ عليه في العشر الأوسط من شهر صفر ، سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

وطريقته أنه يقسم العالم القديم الى سبعة أقاليم ، في كل إقليم عشرة أجزاء ، ويهتم بالطرق والمسافات الرابطة بين كل رقعة من أجزاء الاقليم ، مع تصدير كل جزء بخريطة تجسم محتوياته ، وهو يبتدئ بالجزء الاول من الاقليم الاول ، ثم يختتم بالجزء العاشر من الاقليم السابع .

ويتوزع الحديث عن الجزيرة العربية بين اجزاء من الاقاليم الثلاثة الاولى :

— الجزء السادس من الاقليم الاول : ابتداء من الوجه الثاني من لوحة ١٤ مع لوحتي ١٥ — ١٦ .

— الجزءان : الخامس والسادس من الاقليم . الثاني : انطلاقاً من الوجه الثاني من لوحة ٢٤ ، مع لوحات ٢٥ — ٢٨ .

— الجزءان : الخامس والسادس من الاقليم الثالث : لوحات ٤٧ — ٤٩ ، مع

لوحة ٥١ ، الى الوجه الاول من لوحة ٥٦ .

ومن محاسن أنس المهج اهتمامه بتحديد مراحل الطريق الذي سلكه الرسول عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ، في هجرته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، حسب لوحتي ٢٥ — ٢٦ .

٥ — السفرة

وتسمى — أيضاً — « كتاب الجعرافية » بالعين المهملة ، أو «الخريطة المأمونية» : ثلاثة اسماء لكتاب واحد ينسب لمحمد بن أبي بكر الزهري (٥١) ، كان بقيد الحياة أواسط المائة الهجرية السادسة ، حيث يذكر — عنده مادة مراكش ورقة ٤٢ ب — الخليفة الموحد عبد المؤمن ، المتوفي عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م .

يذكر المؤلف في طالعة الكتاب انه انتسخه من نسخة كتبت من جغرافية الفزاري (٥٢) ، وانتسخها هذا — بدوره — من جغرافية المأمون العباسي .

أما كتاب السفرة فيتناول — في إيجاز — وصف العالم القديم ، ويخلل ذلك بكثير من العجائب والغرائب ، غير أنه يحتوي على إفادات مهمة ، وبالخصوص عند مادتي الأندلس والمغرب .

وبعد ما يقسم الدنيا — في عصره — الى سبعة اجزاء ، ينتهج — مع نفسه — تقسيم كل جزء الى ثلاثة اقسام يسميها أصقاع .

ثم يجعل الجزيرة العربية في الصقع الاول والثاني من الجزء الثاني : عند ورقة ١٥ . أ — الى ورقة ١٦ ب ، من مخطوطة المكتبة الملكية : ٥٩٣٥ المعتمدة في هذا العرض ، وهي تقع في ٥٠ ورقة ، مسطرة ٢٣ ، مقياس ٢٣٠ / ١٧٠ .

خطها مغربي بدوي متوسط خال من تاريخ التأليف واسم الناسخ ، ووقع الفراغ من كتابتها ضحى يوم الاثنين ١٤ رمضان عام ١٢٨٤ هـ ، غير أن بها اضافات أجنبية قليلة مدرجة ضمن النص الأصلي ، ومصدره بكلمة « قال الناسخ » .

يوجد من « السفرة » مخطوطات اخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت الارقام التالية : د ٧٧٠ — ق ١٠٥١ ج ٩٤٥ ، مع مصورة على الشريط رقم : ١٠٤٦ .

نشر الكتاب ــ أخيرا ــ في بيروت بمبادرة الأستاذ محمد الحاج صادق .

٦ ــ الاستبصار في عجائب الأمصار .

اشترك في كتابته مؤلفان مجهولان ، يعتبر اولهما الواضع الاصلي للكتاب ، ثم قام باخراجه ــ مع اضافات جديدة ــ مؤلف ثان يعنون زياداته باسم « الناظر » وكان يعيش عام ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م .

والكتاب يتناول وصف الحرمين الشريفين . ومصر . والمغرب وصحرائه . والسودان.

ومن بين نسخه المخطوطة تحتفظ خ . ع بمصورة من الاستبصار ، في شريط يحمل ــ بقسم الافلام ــ رقم : ٤٧ ، وربما كانت هذه المصورة أوفى من غيرها .

وأول نشرة كاملة للكتاب هي التي قام بها الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، في مطبعة جامعة الاسكندرية سنة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م : ٢٥٦ ص ، عدا المقدمة والفهارس ، وألحق بالنص العربي ترجمة الجزء الخاص بالأماكن المقدسة ومصر الى الفرنسية في ٩٠ ص عدى المقدمة .

وجاء وصف الحرمين الشريفين بالنص العربي من ص ٤ الى ص ٤٤ ، في منهجية تحددها طالعة الكتاب ــ ص ٣ ــ حسب هذه الفقرة :

« وابتدأت بمكة شرفها الله تعالى ، وما يجب ذكره من وصف حرمها ، وأسماء الجبال المحيطة بها ، وذكر أرباضها ، ووصف المسجد الحرام بحسب الوسع ، وذرع الكعبة من خارج ، ووصفها من داخل ، ووصفت الصفا والمروة ، وعرفة ومزدلفة ، ومنى وجبل الرحمة ، مع شريعة ابراهيم عليه السلام ، وصفة بطن محسر ، الى غير ذلك من المناسك .

وصفة مسجد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالمدينة ، ووصفت منبره عليه السلام ، ووصفت عدد ابواب المسجد ، وجميع ما فيه من العمد ، وعدد ما فيه من القناديل ، ووصفت روضته عليه السلام ، ثم وصفت بقية المدينة ، وروضة عثمان رضي الله عنه ، ووصفت مسجد قبا ، وقبور الشهداء بأحد رحمة الله عليهم ، تبركا بذلك ، وتيمناً بالاستفتاح به » .

٧ — روض الأنس ونزهة النفس

تأليف أبي الطيب صالح بن بزيد بن موسى . . . بن شريف النفزي الرندي ، المتوفي عام ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م (٥٣) .

في مجلدين تقريباً ، طرزه مؤلفه باسم سلطان غرناطة : أبي عبد الله محمد الملقب بالفقيه بن محمد ابن الاحمر ، وقصد به ان يأتي شبه موسوعة ، فصنفه في عشرين باباً :

الباب الاول : في العالم ومعالمه .
الباب الثاني : في الأرض وما يتعلق بها من ذكر الأقاليم والبلاد . . .
الثالث : في بدء البشر وافتراق الأمم وما يتعلق بذلك .
الرابع : في النبي عليه وآله الصلاة والسلام .
الخامس : في الخلفاء وأهل البيت .
السادس : في الدولة الأموية .
السابع : في الدولة العباسية .
الثامن : في أهل الردة .
التاسع : في جمل من الفتوح .
العاشر : في لمع من ... (محو بموضع تتمة العنوان) .
الحادي عشر : في الحرب .
الثاني عشر : في الملك والرياسة .
الثالث عشر : في العلم .
الرابع عشر : في الشعر .
الخامس عشر : في المال .
السادس عشر : في النساء والبنين .
السابع عشر : في الانس .
الثامن عشر : في الناس والزمن .

عشرة أجزاء .

نشر كتاب بسط الأرض مرتين : الاولى : تحت اشراف معهد مولاي الحسن بتطوان سنة ١٩٥٨ م ، بتحقيق الدكتور خوان كرنيط خينيس الاستاذ بجامعة برشلونة الذي صدره بمقدمة مختصرة ، وجاء الجميع في ١٤١ ص .

الثانية : بمبادرة المكتب التجاري للطباعة والنشر في بيروت سنة ١٩٧٠ م ، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور اسماعيل العربي ، وصدر الجميع في ٢٦٢ ص .

وجاء ذكر الجزيرة العربية بهذه الجغرافية موزعاً بين الجزأين الرابع والخامس لكل من الاقاليم الثلاثة الاولى : ص ٣٣ — ٣٦ ، ٥٠ — ٥٢ ، ٦٤ — ٦٥ من طبعة تطوان .

٩ — الروض المعطار في خبر الأقطار

لمحمد بن عبدالله بن عبدالله — مرتين — بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري .

معجم جغرافي يذكر المدن والقرى وما إليها ، ويصنفها حسب الترتيب الأبجدي المشرقي ، وقد تناول المواضع والبقاع بالجزيرة العربية في ٣٣ مادة باضافة العراق .

والمؤلف يذكر — في افتتاحية الكتاب — خطته في التأليف ، فيشير الى أنه اختار ذكر المواضع المشهورة عند الناس ، والأصقاع التي تعلقت بها قصة ، أو كان في ذكرها فائدة . . . فصار الكتاب — لذلك — يشتمل على فنين .

ذكر الأقطار والجهات .

مع الوقائع التاريخية التي تتصل بها .

وحرص — في عرضه — على الاختصار ، وحذف — لذلك — ذكر المسالك والمسافات .

وتكمن اهمية الكتاب في احتفاظه بالمعلومات التي يستقيها المؤلف من كتب ، أو في مشاهداته وارتساماته ، وما سوى ذلك فهو ترديد لكلام الجغرافيات العربية المتعارفة ، وهي ظاهرة لمح لها حاجي خليفة (٥٥) ، فذكر أن مؤلف الروض المعطار جمع فيه لب كتب عديدة .

لا يزال معظم الكتاب مخطوطا ، وتتعدد — بالمغرب — نسخ النصف الأول منه في مجلد ينتهي آخر حرف الزاي .

وأول هذه النسخ : مخطوطة خ . ع ، ق ٢٣٨ ، في ٢٩٥ ص من القطع الكبير ، بخط مغربي مستحسن واضح ملون مجدول .

وهذه هي المعتمدة في عنوان الكتاب واسم المؤلف الواردين صدر هذه المادة .

الثانية : نسخة م . م ٥٢١١ بخط مغربي متوسط ، وهي مبتورة الاول .

الثالثة : م . م ٥٩٤٣ ، بخطوط مغربية متنوعة لا بأس بها على العموم .

وهذه مع سابقتها مكتوبتان في قطع متوسط غير مرقم ، كما أن النسخ الثلاثة خلت — جميعها — من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

أما النصف الثاني من الكتاب ، فيوجد بقسم الأفلام : خ . ع ، رقم ٢ ، وهو مصور — على الشريط — من نسخة مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة ، في ٢١٢ لوحة ذات صفحتين ، حيث يستوعب مجموعها النصف الثاني ابتداء من آخر الزاي ليأتي — بعده — حرف السين . . . والكل مكتوب بخط شرقي نسخي مليح .

وقد انتخب المستشرق الفرنسي ا . لافي بروفنصال المواد الاندلسية من الكتاب ، ونشرها — على حدة — بعنوان « صفة جزيرة الاندلس » ، بعناية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر » بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م ، في ٢٠٠ ص عدا المقدمة والفهارس .

كما قام بترجمة هذه المنتخبات الى الفرنسية ، وصدرها بمقدمة باللغة ذاتهـــا ، ونشر الجميع — مع التعاليق والفهارس — في ليدن سنة ١٩٣٨ .

★ ★ ★

والى هنا يصل بنا المطاف الى تحديد هوية مؤلف الروض المعطار وعصره ، وهي نقطة لا تزال بحاجة الى دراسة ، وفي هذا الصدد يسجل مؤلف تاريخ الادب الجغرافي العربي (٥٦) » .

أنه يرتبط بالتاريخ الأدبي للروض لغز كبير لا يزال ينتظر الحل المقنع الشافي .

كما أن مؤلف « الجغرافية والجغرافيون في الاندلس(٥٧) » يقول في الاتجاه ذاته : « وقد جهد في حل هذا المعضل ثلاثة من المستشرقين ، هم جودفر وادي موميين ،

وجاستون فيت ، وليفي بروفنسال » . ومرد الاشكال في هذه النقطة يرجع الى الخلط في هوية المؤلف ، وفي تاريخ الفراغ من التأليف ، وثالثاً : في اعتماد نص الطبعة القديمة لكشف الظنون دون تمحيص ، وقد تورط في الاوهام الثلاثة الأستاذ ليفي بروفنصال في مقدمة الترجمة الفرنسية للكتاب .

فذهب الى أن المؤلف هو المترجم عند ابن الخطيب في مختصر الاحاطة باسم محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري السبتي ، المعروف بابن عبد المنعم .

ويلاحظ على هذا الرأي ، أن صاحب الروض لما يذكر سبتة ، لا تقع منه أدنى لفتة تشف عن اتصاله بهذه البلدة .

هذا بالاضافة الى أنه لم يرد في ترجمة ابن عبد المنعم السبتي (٥٨) أية إشـــارة لاشتغاله بالجغرافية ، فضلاً عن التأليف فيها .

واكثر من هذا وذاك وجود نص يحدد اسم مؤلف « الروض المعطار » وعصـــره وبلدته ، ضمن ترجمة قصيرة وردت هكذا .

« ابن عبد النور : محمد بن محمد بن عبدالله بن عبد المنعم بن عبد النور ، الشيخ العلامة المتفنن ، أبو عبد الله الحميري ، التونسي ، كان من صدور العدول المبرزين ، اخذ عن القاضي ابن زيتون وغيره ، ألف تصانيف جليلة .

اختصر تفسير الفخر الرازي ، سماه : « نفحات الطيب . في اختصار تفسير ابن الخطيب » : سبعة اسفار .

له تقييد على الحاصل في سفرين .

و « الروض المعطار . في أخبار الأقطار » ، في سفرين . . .

لم أقف على مولده ووفاته ، قال ابن فـــرحون : وكـــان حياً عام ستة وعشـــرين وسبعمائة » .

هذا هو المهم من ترجمة الحميري الواردة في مخطوط طبقات المالكية ، لمؤلف غير مذكور كان يعيش الى أواخر المائة الهجرية العاشرة ، حسب مصورة منها خ.ع ، رقم ٩ من قسم الأفلام ، لوحة ٣٨٠ .

واصل هذه الترجمة عند ابن فرحون (٥٩) ، غير أن الجديد بالمخطوط المشار له هو إضافة الروض لمؤلفات الحميري .

ومما يصحح توقيت ابن فرحون لعصر هذا المؤلف ، وجود إشارات بالكتاب لبعض الاسماء والاحداث ، أواخر المائة الهجرية السابعة أو صدر الثامنة .

فهو يذكر اسم محمد بن يوسف ابن الاحمر مؤسس مملكة غرناطة (٦٠) ، وقد توفي عام ٦٧١ / ١٢٧٢ م .

ثم يشير لسقوط جزيرة منرقة (٦١) ، وكان ذلك عام ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م .

وعند مادة ايلة يرد ذكر تاريخ « قبل العشرين وسبعمائة (٦٢) » .

وهكذا نتبين ان وفاة المؤلف وقعت بعد السبعمائة ، وبالتالي نتأكد أن توقيت حاجي خليفة (٦٣) وفاة الحميري بعام ٩٠٠ ، تعرض — دون شك — للتصحيف بدلاً عن سبعمائة ، اعتباراً بأن هذا المصدر ذكر تاريخ الوفاة على وجه التقريب .

والآن ننتقل الى الوهم الثاني الذي وقع للاستاذ بروفنصال في هذا الموضوع ، وقد سرى اليه من فقرة وردت آخر مخطوط تنبكتو من الروض ، وجاء فيها :

« هذا آخر الجزء الثاني من الروض المعطار . في خبـــر الأقطار ، [للشيـ]خ الفقيه العدل : أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي محمد ع[بدالله بن عبدالمنعم الحميري، رحمة الله عليه ، وبتمامه(كذا)جميع الكتاب ، في صبح يوم الجمعة ، الســابع عشر من شهر صفر الخير ، أحد شهور سنة ست وستين وثمان مائة ، بساحل جدة المعمور ، وفرغت من تقييده يوم عاشوراء ، لعام ١٠٤٩ . . . على يد . . . ابراهيم ابن يحيى بن ابراهيم الأقاوي. . . »

وقد فهم الأستاذ المشار له من هذه الفقرة ، أن سنة ٨٦٦ هي تاريخ تأليف الكتاب بمدينة جدة ، على حين أن المؤلف يذكر بحلية الشيخ الفقيه العدل ، مما لم تجر العادة أن يصدر من المصنفين ، هذا فضلاً عن المترجم عليه ، مما يشير الى وفاته ، ويوضح أن ذلك ليس من تعبير المؤلف .

والمتبادر أن هذه الفقرة الاولى صدرت من كاتب النسخة التي نقلت منها مخطوطة

تنبكتو ، حيث وقع الفراغ من النسخة الاولى في ١٧ صفر عام ٨٦٦ بمدينة جدة .

ومما يؤيد هذا أن خاتمة مخطوط مكتبة عارف ، خالية من ذكر هذا التاريخ ومدينة جدة بالمرة .

اما الوهم الثالث الذي وقع للأستاذ المنوه به ، فهو اعتماده الطبعة القديمة لكشف الظنون ، وهي قد كررت ذكر الروض المعطار مرتين ، غير أن الطبعة الجديدة (٦٤) انما ذكرت هذا الكتاب مرة واحدة ، فسقط بذلك افتراض نفس الأستاذ لوجود كتابين باسم الروض المعطار .

ومن هنا نتبين أن هذا الأسم إنما هو لكتاب واحد ، كما تبينا ــ قبلا ــ أن تاريخ تأليفه ليس عام ٨٦٦ هـ ، وتبينا ــ أولا ــ ان المؤلف إنما عاش الى صـــدر المائة الهجرية الثامنة ، وأنه من مدينة تونس .

وهناك رواية اخرى عن بلد المؤلف يتبناها المقري(٦٥) ،وهو يقطع بأنه أندلسي، في نقل يعقب عليه بقوله : « فإنه أقعد بتاريخ الاندلس ، اذ هو منهم ، وصاحب البيت ادرى بالذي فيه » .

وللتوفيق بين الروايتين ، يمكن أن أصل الحميري من الأندلس ، ثم نزح عنها هو او اسرته ضمن الجاليات الأندلسية المتوافرة على مملكة الحفصيين ، فاستوطن عاصمتها ودرس بها .

وأخيراً : نستخلص من هذا العرض تونسية مؤلف الروض المعطار ، بعد ما ظل ــ حينا من الدهر ــ تتجاذبه جدة فالاندلس فسبتة ، فلتكن هذه الصفحة الحميرية ، هدية من ندوة الجزيرة العربية ، الى تونس الخضراء ، فهي بلد المترجم ، ولها الأسبقية في تقديمه ، وما كان التطفل عليه في هذا البحث ، الا مجاراة لأندلسيته القديمة ، حتى نقفل بالروض المعطار باب الجغرافيات ، ليأتي ــ بعدها ــ الباب التالي .

٤ ــ الرحلات

وكما اشير له سلفاً فان عددها ١٢ رحلة اندلسية ومغربية ، حيث يتدرج تقديم بطاقاتها حسب التسلسل التاريخي ، وتبعاً لرقم المادة الأخيرة من الجغرافيات .

١٠ ــ تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار

اسم رحلة ابن جبير : محمد بن أحمد الكناني البلنسي ، المتوفى عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م (٦٦) .

مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ، في ٣٣٢ ص ، وانظر عن طبعاتها الأخرى : سركيس في معجم المطبوعات ع ٦٢ .

وكانت حجته التي دون عنها الرحلة ، في عام ٥٧٩ هـ/١١٨٤ م .

١١ ــ مستفاد الرحلة والاغتراب

لأبي القاسم التجيبي : القاسم بن يوسف بن محمد السبتي ، المتـــوفى عام ٧٣٠هـ / ١٣٢٩ م (٦٧) .

والمعروف منها ــ الآن ــ مجلد واحد يتناول سفره للديار المصرية وجدة ومكة المكرمة عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م .

وقد نشر بتونس ــ لأول مرة ــ في مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم عام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، في ٤٦٨ ص ، عدا المقدمة والفهارس .

١٢ ــ تحفة النظار ، في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار

لابن بطوطة : محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجـــي ، اســـتمر بقيد الحياة الى عام ٧٧٠ هـ / ٦٨ / ١٣٦٩ م (٦٨) .

نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر في جزأين : ص ٢٥٦ و ٢١٢ ، وانظر عن طبعاتها الاخرى : سركيس في معجم المطبوعات ع (٤٩) .

ووقعت حجته الاولى عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م .

وهو مع الزياني ــ آتي الذكر ــ اللذان اضافا الى وصف معالم الحج والزيارة ومسالكهما ، ذكر جهات أخرى بالحجاز واليمن وما اليهما ، على اقتضاب في ارتسامات هذا الاخير .

١٣ — تاج المفرق ، في تحلية علماء المشرق

للبلوي : خالد بن عيسى بن أحمد الاندلسي القنتوري ، كان بقيد الحياة عام ٦٥٥ هـ / ١٣٥٤ (٦٩) م .

لاتزال هذه الرحلة مخطوطة في نسخ متعددة بالمغرب ، ومنها واحدة م . م ١٤٤ . ضمن مجموع : ص ١٨٤ — ٣٥٦ ، حيث يوجد موضوع الحجاز ص ١٩٦ — ٢٣٧ .

وقد حج عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م .

١٤ — أنس الساري والسارب . من أقطار المغارب . الى منتهى الآمال والمآرب

: سيد الأعاجم والاعارب

لابن مليح : محمد بن أحمد بن عبد العزيز القيسي ، الشهير بالسراج ، تاريخ وفاته غير معروف (٧٠) ، وكانت رحلته للحجاز ما بين عامي ١٠٤٠ و ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٠ — ١٦٣٣ م .

نشرت بتحقيق الأستاذ الكبير محمد الفاسي الفهري ، بمطبعة محمد الخامس بفاس عام ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، في ١٤٥ ص عدا المقدمة والفهارس .

١٥ — ماء الموائد ، وتعرف بالرحلة العياشية :

لأبي سالم عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي ، المتوفى عام ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ (٧١) م.

المطبعة الحجرية الفاسية عام ١٣١٦ هـ في مجلدين : ص ٤٥٦ و ٤٢٢ .

دون فيها أخبار حجته الثالثة عام ١٠٧٢ هـ — ١٦٦١ — ١٦٦٢ م .

وبعض مخطوطات هذه الرحلة ، مذيل بنصوص الإجازات المشرقية للمؤلف ، ومنها نسخة المؤلف بخطه ، المحفوظة بمكتبة الزاوية الحمزية في اقليم قصر السوق .

١٦ — رحلة أبي علي اليوسي :

الحسن بن مسعود ، المتوفى عام ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ (٧٢) م ، من جمع ولده محمد (٧٣) .

مخطوطة م . م ٢٣٤٣ في ٥٤ ص من الحجم الصغير ، وموضوع الحجاز بها من ص ٢٧ الى ص ٤٦ .

ومنها نسخة أخرى ضمن مجموع خ . ع ، ك ١٤١٨ .

١٧ — رحلة القاصدين ورغبة الزائرين

للغنامي : عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي المزمزي ، تاريخ وفاته غير معروف (٧٤) ، ووقعت حجته أواخر عام ١١٤١ هـ / ١٧٢٩ م .

منها مخطوطة فريدة م . م ٥٦٥٦ في ٢٤ صفحة مستطيلة ، مبتورة — يسيرا — من الآخر ، وحجازياتها : ص ٢ — ١١ .

١٨ — رحلة الإسحاقي :

محمد الشرقي بن محمد ، تاريخ وفاته غير مضبوط (٧٥) ، وحج عام ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠ م .

يقع الموجود منها في مجلد يشتمل على ٣٨٩ ص ، حسب مخطوطة م . م ١٤٢٨ ز ، وهي — فيما يترجح — مأخوذة من نسخة القرويين رقم ٢٥٨ .

ومن الصفحة ٢٠٥ حتى ٣٨٩ تسهب في الحديث عن مكة المكرمة وما اليها ، حيث ينتهي هذا الجزء بعد الانتقال إلى المدينة المنورة .

١٩ — رحلة أبي مدين الدرعي :

محمد بن أحمد الصغير السوسي الأصل، المتوفى عام ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م (٧٦) .

مخطوطة المؤلف : خ . ع ، ق ٢٩٧ ، ضمن مجموع من ص ١٢٠ . الى ص ٢٨٠ .

وحجته عام ١١٥٢ هـ / ١٧٣٩ م حيث استغرقت حجازياتها من ص ١١٤ الى الى ص ٢٠٦ .

٢٠ — الرحلة الكبرى ، للناصري :

محمد بن عبد السلام الدرعي ، المتوفى عام ١٢٣٩ هـ / ١٨٢٣ م (٧٧) .

نسخة المؤلف بخطه المهمش بإلحاقاته ، م . م ٥٦٥٨ .

دون فيها أخبار رحلته الحجازية عام ١١٩٦ هـ / ١٧٨١ م ، حيث ورد بهـا حديث هذه المنطقة ص ١٨٣ — ٢٧٧

٢١ ــ الترجمانة الكبرى . التي جمعت أخبار العالم براً وبحراً .

للزياني : أبي القاسم بن أحمد ، المتوفى عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م (٧٨) .

مطبعة فضالة بالمغرب في ٦٦١ ص نصاً وتقديما وتعاليق ، عمل الأستاذ عبد الكريم الفيلالي .

وكان المؤلف قد أدى حجته الأولى من عام ١١٧٠ هـ / ١٧٥٧ م .

وستكون الترجمانة الكبرى آخر الرحلات المتخيرة لهذا العرض ، وبعد ذلك لا تزال لائحة هذه المدونات طويلة ، وبالمناسبة نحيل على مسردين للرحلات الحجازية المغربية .

الأول : للمحدث المغربي محمد عبد الحي الكتاني الحسني ، في تقريظه لكتاب « دليل الحج والسياحة » ، تأليف القاضي أحمد بن محمد الهواري (٧٩) ، حيث استعرض كاتب التقريظ ٤٢ رحلة أكثرها حجازية .

الثاني : كتبه المؤرخ المغربي عبد السلام ابن سودة المري ، ضمن القسم السابع من كتابه : « دليل مؤرخ المغرب الأقصى » (٨٠) ، وقد كاد يستوعب الرحلات المغربية الحجازية .

ونشير ــ بعد هذا ــ الى دراسة قيمة في الموضوع ذاته ، نشرها الأستاذ الكبير محمد الفاسي الفهري بعنوان : « الرحالة المغاربة وآثارهم (٨١) » .

٥ ــ لقطات دفينة من نمط إفادات الجغرافيات والرحلات

وهي الافادات الواردة ضمن مؤلفات ليست بموضوعية ، غير انها تحتفظ بنص أو وثيقة تتصل بالجزيرة العربية ، ولهذا سنذيل بنماذج منها على البابين ٣ و ٤ من هذا العرض ، على أن يتسلسل تقديمها تبعاً للموضوع الأخير من الرحلات .

٢٢ ــ مشارق الأنوار على صحاح الآثار

للقاضي أبي الفضل : عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، المتوفى عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م .

وهي مؤلفة في موازاة الموطأ وصحيحي البخاري ومسلم ، حيث التزم مؤلفها تصحيح متون واسانيد الاحاديث الواردة بالكتب الثلاثة ، فينبه على ما في المتون من تغيير وتصحيف وإشكال ، مع ما يتعلق بالرواة من مشكل الأسماء والألقاب ، ومبهم الكنى والأنساب ، سالكاً في تصنيفه ترتيب المعجمية المغربية .

ويهم هذه الدراسة من « مشارق الأنوار » ، أن يأتي عند كل حرف فصل متميز ، يتناول ما وقع فيه من أسماء وأماكن وبلاد ، فيشكل تقييدها ، ويصحح تصحيفها ، فاستوعب الكتاب — بهذا — مجموعة من المواضع والبقاع والمسافات بالجزيرة العربية.

وقد نشر بالمغرب في المطبعة المولوية بفاس في سفرين : الأول : عام ١٣٢٨ هـ في ٤٠٥ ص ، والثاني : عام ١٣٢٩ هـ ، في ٤٠٨ ص ، عدا الفهرس .

٢٣ — « مناهل الصفا . . . »

لعبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الصنهاجي القشتالي ثم الفاسي ، المتوفى عام ١٠٣١ / ١٦٢١ م (٨٢) .

أثبت فيه رسالة صادرة من العاهل المغربي أحمد المنصور الذهبي السعدي ، الى أمير الحرمين الشريفين والحجاز : الشريف حسن بن أبي نمي ، وكان موضوعها التوصية بشيخ ركب الحج المغربي : الحاج محمد بن عبد القادر ؟ مع رجاء الدعاء في المعاهد الكريمة بتيسير أسباب فتح الأندلس .

حسب نص الكتاب الوارد بهذا المصدر نشر « مطبعة ومكتبة عربية » بالرباط ، ص ١٨٧ — ١٨٨ .

٢٤ — المحاضرات

لأبي علي اليوسي ، سابق الذكر عند رقم ١٦

استطرد فيها — ص ٦٥ — ٦٦ — الحديث عن عجوز عربية سمعها حاج مغربي — وهو في درب الحجاز — ترفع عقيرتها بإنشاد بيت من الشعر باللغة الفصحى ، في قصة يرجع تاريخها الى أواخر القرن الهجري الحادي عشر .

والكتاب منشور بالمطبعة الحجرية الفاسية عام ١٣١٧ هـ ، في ٢٣٧ ص عدا الفهرس.

٢٥ ــ كناشة

بخط حمدون بن محمد الطاهري الجوطي ثم الفاسي ، المتوفى عام ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨ م (٨٣) .

أورد فيها صدر رسالة كتبها السلطان العلوي : اسماعيل بن الشريف ، الى أمير الحجاز الشريف سعد بن زيد ، ثم وردت الرسالة قريبة من التمام ، في سبع ورقات بها بتر : خ . ع ، د ١١٣٩ ، حيث يتبين أن الأمر يتعلق بتقديم نصائح ودية من العاهل المغربي ، الى أمير الحجاز .

٢٦ ــ النوافح الغالية في المدائح السليمانية

اسم ديوان أبي الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي ، الفاسي ، المتوفى عام ١٢٣٢ هـ ــ ١٨١٧ (٨٤ (م .

أثبت فيه وثيقة منظومة في بحر البسيط على قافية الميم ، في ١٩٨ بيتا ، ومطلعها :

حق الهناء لكم جيران ذي سلم وبارق واللوى والبان والعلم

تظم فيها مراجعة السلطان العلوي : المولى سليمان بن محمد بن عبد الله ، جوابا عن رسالة الأمير سعود الكبير ، وقد بعث بها الى الآفاق الإسلامية لشرح حقيقة مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي تبنته الدولة العربية السعودية (٨٥)

لايزال ديوان النوافح الغالية مخطوطا ، ومنه نسخة بالمكتبة الملكية رقم ٢٢٥ والقصيدة من ص ٢٤٥ الى ص ٢٦٦ .

٢٧ ــ تاريخ المغرب العلوي

لمحمد بن عبد السلام بن أحمد الرباطي الملقب بالضُّعَيِّف ، تاريخ وفاته غير مضبوط (٨٦) ، وتقف أحداث يومياته عند يوم الاربعاء ٤ جمادى الاولى عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م .

وهو يشير ــ عام ١٢٢٨ هـ ــ الى سعود الكبير ، ويعلق على ذكره بأن الناس اختلفوا في الحكم على دعوته بين منتقد ومؤيد ، ويختتم بقوله : « والعلم لله » .

حسب مخطوطة ج .ع ، ، د ١٧٠٦ ، ص ٣٨٩
الترجمانة الكبرى

للزياني ، وقد مر ذكرها ومؤلفها عند رقم ٢١ .

ونسجل هنا أن الزياني كان من فئة المنتقدين لدعوة سعود الكبير ، حيث حمل — أيضاً — على القصيدة المغربية ، في جواب الرسالة السعودية : ص ٣٨٨ — ٣٨٩، مع ص ٤٩٣ — ٤٩٥ .

٢٨ — الجيش العرمرم ...

لمحمد بن أحمد أكنسوس المراكشي ، المتوفى عام ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ (٨٧)

تحدث في تاريخه — ج ١ ص ١٩٦ — ١٩٧ — عن البعثة التي حج فيها الامير العلوي : إبراهيم بن السلطان المولى سليمان ، عام ١٢٢٦ هـ / ١٨١٠ م ، حيث حمل الأمير المغربي الجواب السليماني عن الرسالة السعودية ، وذهب في معيته زمرة من علماء المغرب وأعيانه .

ويرسم هذا المصدر ارتسامات الوفد المغربي عن سلوك الامير سعود الكبير ، ثم يتحدث عن اتصالهم به ، وحوارهم معه ، حسب الفقرة التالية :

« حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك الحجة مثل الفقيه العلامة القاضي السيد محمد بن ابراهيم الزداغي ، والفقيه العلامة القاضي السيد العباس ابن كيران الفاسي ، والفقيه الشريف البركة سيدي الأمين ابن جعفر الحسني الترتبي ، والفقيه المؤقت الصادق الامين السيد عبد الخالق الودي : حدث كل واحد منهم انهم ما رأوا من ذلك السلطان سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وانما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام : من صلاة وطهارة ، وصيام ، ونهي عن المناكر المحرمة ، وتنقية الحرمين الشريفين من القذارات والأنام ، التي كانت تفعل بهما جهارا بلا انكار .

وذكروا أن حاله كحال أحد من الناس ، لا يتميز من غيره بزي ولا مركوب ولا لباس ، وأنه لما اجتمع بالشريف الخليفة المولى ابراهيم ، أظهر له التعظيم الواجب لأهل

البيت الشريف ، وجلس معه كجلوس هؤلاء المذكورين وغيرهم من خاصة مولانا ابراهيم .

وكان الذي تولى الكلام معه هو القاضي ابن ابراهيم الزداغي ، وكان من جملة ما قال لهم : إن الناس يزعمون اننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأي شيْ رأيتمونا خالفناه من السنة ؟ وأي شيْ سمعتموه عنا قبل رؤيتكم لنا ؟

فقال له القاضي المذكور : بلغنا انكم تقولون بالاستواء الذاتي ، المستلزم لجسمية المستوى .

فقال لهم معاذ الله ، انما نقول كما قال مالك : الاستواء معلوم ،والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، فهل في هذا مخالفة ؟ فقالوا لا ،

وبمثل هذا نقول نحن ايضاً

ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم انكم تقولون بعدم حياة النبي واخوانه من الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — في قبورهم .

فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ، ورفع صوته بالصلاة والتسليم عليه ، وقال معاذ الله تعالى ، بل نقول إنه — صلى الله عليه وسلم — حي في قبره ، وكذلك غيره من الأنبياء ، حياة فوق حياة الشهداء .

ثم قال له القاضي : وبلغنا انكم تمنعون من زيارته — صلى الله عليه وسلم — وزيارة الأموات قاطبة ، مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها ،

فقال له : معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا ، وهل منعناكم انتـــم منها ؟ لما عرفنا انكم تعرفون كيفيتها وادابها ، وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية ،ويطلبون من الأموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية ، وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى ، وتذكار مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ، ثم يدعو اليه بالمغفرة ، ويتشفع به الى الله تعالى ، ويسأل الله — تعالى المنفرد بالاعطاء والمنع — بجاه ذلك الميت ، ان كان ممن يليق أن يستشفع به ، هذا قول

امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه ، ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هـذا المعنى منعناهم سدا للذريعه ، فأي مخالفة في هذا القدر ؟

هذا ما حدث به اولئك المذكورون ، وسمعنا ذلك من بعضهم جماعة ، ثم سألنا الباقي افراداً فاتفق خبرهم على ذلك » .

٢٩ ــ أغاني السقا . ومغاني الموسيقى

لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي الرباطي ، المتـوفى عام ١٣١١ هـ / ١٨٩٤ م (٨٨) .

رتبه على مقدمة واربعة عشر باباً وخاتمة ، واستطرد في الباب السابع وصف عادات أهل الحرمين الشريفين بمناسبة الوليمة والضيافة .

لا يزال مخطوطاً في نسخ معدودة ، منها واحدة : خ . ع ، د ١٠٩ في ١٣٠ ص

٣٠ ــ التذكار . لما في التذكرة من الطب مع الاختصار

اسم مختصر للتذكرة الانطاكية ، تأليف أبي اسحاق التادلي ، آنف الذكر عند رقم : ٢٩ .

تحدث فيه ــ بإسهاب ــ عن مشايخه بالحرمين الشريفين ومقروءاته عليهم ، مخطوط ضمن كناشة بالمكتبة التطوانية بسلا .

٣١ ــ « ركب الحاج المغربي »

لمحمد المنوني جامع هذه الشذرات ، تناول تاريخ الركب المغربي الذي يذهب من المغرب الى الحج والزيارة بالبقاع المقدسة ، وخلال عروضه ترد اشياء تهم تاريـخ الجزيرة العربية .

والكتاب منشور ــ من سنة ١٩٥٣م ــ في مطبعة المخزن بتطوان : ١٠٤ ص .

★ ★ ★

الرباط (المغرب) ــ الأحد ٢٥ محرم ١٣٩٧ ١٦ يناير ١٩٧٧

محمد المنوني

التعاليق

١ — أنظر عن وصفها :

محمد الفاسي : « الرحالة المغاربة وآثارهم » :

مجلة دعوة الحق : السنة الثانية العدد الثاني ، ص ١١ — ١٢ .

مع عبدالله كنون : « ذكريات مشاهير رجال المغرب » : الجزء ١٨ وأبي سالم : « الرحلة العياشية » : ج ١ ص ٢٢٧ — ٢٢٨ مع ج ٢ ص ٢٤٠ ، وقد أشار الى اجزاء منها كانت في رباط الموقف بمكة المكرمة حيث أفاد منها .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسة لم تفد من رحلة ابن رشيد ، لما لم يتسع الوقت للحصول على مصور من السفر الذي يتناول الجزيرة العربية .

٢ — لا يزال مخطوطاً ، ومنه نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط رقم : ١٥٧٨ آخر مجموع : ص ٢٨٠ — ٣٢١ .

٣ — جاء في « تاريخ الفكر الاندلسي » : الترجمة العربية ص ٥٢٢ إشارة الى مؤلف باللغة القشتالية يحمل اسم « رباعيات حاج يوي منثون » يصف فيها صاحبها الموريسكي رحلة الى مكة قام بها في القرن السادس عشر م ، ونظمها في شعر قشتالي سهل بسيط يتكون من مقطعات ، كل قطعة منها ثمانية أبيات .

وانظر عثمان الكعاك : « حجاج الاندلس بعد سقوطها » ، مجلة « الثريا » التونسية ، السنة الثانية : بالعددين ١١ — ١٢ .

٤ — « رحلة ابن جبير » ص ١٦٨ — ١٧٣ ، والطبعة المعتمدة منها وفي الاحالات على الرحلات الأخرى ، هي المذكورة عند باب مسرد الرحلات ، كما أن المخطوط من هذه يعتمد في رقمه ومكانه على التوضيحات الواردة بشأنه بالمسرد المشار له .

٥ — أنظر عن هذا الحدث : السمهودي في « وفاء الوفا » مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، ج ١ ص ٤٢٧ — ٤٢٩ .

٦ — « رحلة التجيبي » ، ص ٢٤٠ — ٣٣٢ .

٧ — « رحلة ابن بطوطة » ج ١ ص ٨٠ — ٨٦

٨ — ص ٢١٢ — ٢٢٠ .

٩ — أنظر عن الحدثين : القطبي في « الإعلام . بأعلام بلد الله الحرام » ، نشر المكتبة العلمية بباب السلام ، ص ١٧٢ ، وعن حدث السيل خاصة : التقي الفاسي : في « شفاء الغرام » ، دار احياء الكتب العربية بمصر ، ج ٢ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

١٠ — ابن بطوطة ج ١ ص ٦٩ — ٧٤ ، والبلوي ص ٢٠١ — ٢٠٥ .

١١ — أنظر وصفه في « وفاء الوفا » ج ١ ص ٤٥٥ — ٤٥٦ .

١٢ — الرحلة العياشية ج ٢ ص ٩٥ — ٩٧ .

١٣ — من نماذج المؤلفات المعنية بهذه التراجم : « رحلة التجيبي » ص ٣٦٢ — ٤٥٨ ، ثم «الرحلة العياشية » ج ١ ص ٣١٤ — ٤٥٦ و ج ٢ ص ٢ — ٩١ ، مع ص ١٢٥ — ٢٤٠ ، كما أن رحلة أبي مدين الدرعي تحتفظ بلائحتين لمشايخ الحرمين الشريفين : المدينة المنورة ص ١٧٠ — ١٧١ ، ومكة المكرمة ص ١٩٠ — ١٩٦ .

١٤ – من هذا الفريق أبو سالم العياشي في ذيل بعض النسخ المخطوطة من رحلته ، ثم أبو مدين الدرعي وهو يذيل مخطوطته من رحلته باجازات مشايخه في تصوصها الأصلية بخطوطهم : ص ٢٨١ – ٢٩٣ .

١٥ – في الرحلة العياشية عرض مؤلفها جملة من هذه المظاهر الحضارية كما يلي :

الحركة التجارية بمنى ايام التشريق ج ١ ص ١٩٩ .

موكب أمير مكة بها وهو ذاهب لرمي الجمار ج ١ ص ١٩٩ .

مباهج ليالي منى ج ١ ص ٢٠١ – ٢٠٢ .

أفراح الركب المصري ليلة رحيلهم من المدينة المنورة ج ١ ص ٢٤٤ .

عادة نساء هذه البلدة المقدسة بمناسبة مقدم الركب الشامي ج ١ ص ٢٤٥ .

عوائد أهل مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام في مجالات منوعة ج ١ ص ٢٨٤ – ٣٠٣ .

أنظمة أغوات المسجد النبوي الكريم ج ١ ص ٣٠٥ – ٣٠٩ .

موسم الرجبية بالمدينة المنورة ج ١ ص ٣١٠ – ٣١١ ،

رمضان في مكة المكرمة ج ٢ ص ٩٨ – ١٠٠ .

الأيام السبعة التي تفتح فيها الكعبة المشرفة ج ٢ ص ١٠٠ – ١٠١ .

وصف صلاة عيد الفطر بالمسجد الحرام ج ٢ ص ١٠١ .

١٦ – الرحلة ج ١ ص ١٥٨ .

١٧ – الرحلة ص ٧٦ ، ١٣٦ .

١٨ – الرحلة ص ٣٢٦ – ٣٢٧ .

١٩ – الرحلة ج ١ ص ٨٤ .

٢٠ – الرحلة ص ٨٧ .

٢١ – المصدر ص ١٧١ ، ويؤكد ابن مرزوق صحة نسبة هذين المصحفين الكريمين الى الخليفة الراشد : عثمان بن عفان رضي الله – تعالى – عنه ، وهو ينقل عن التجيبي أنه شاهد كلا من مصحفي الحرم المكي والجامع الأموي بدمشق ، ويعقب هكذا :

« قلت : وقد عاينتهما مع الذي بالمدينة ، وقرأت فيهما سنة خمس وعشرين وسبعمائة » ، وبعد هذا يضيف الملاحظة التالية : « ومما اتعقبه على ابن عبد الملك وغيره ممن تقدمه : أنهم يقولون في مصحف عثمان : « الذي خطه بيمينه » وهذا وهم ، فان عثمان – رضي الله عنه – لم يخط واحداً منها وانما اجتمع على كتبها جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حسبما هو مكتوب على أول ورقة من المدني ، فان عليه على أول ورقة منه :

هذا ما اجتمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم زيد بن ثابت ، وعبدالله ابن الزبير ، وسعيد بن العاصي ، وعبد الرحمن بن الحرث ، وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضي الله عنه من الصحابة على كتب المصحف ، انتهى » .

« المسند الصحيح الحسن » مخطوط خ . ع ، ق ١١١ : عند الفصل الثاني من الباب ٥٢ ، ونقله – ببعض تصرف – في « نفح الطيب » : المطبعة الأزهرية المصرية ج ١ ص ٢٨٣ .

٢٢ – ج ١ ص ٨٤ .

٢٣ – ص ٢١٩ ، ٢٠٤ .

٢٤ – رحلة : « أنس السارب والسارب ... » ص ١٠١ .

٢٥ – الرحلة العياشية ج ١ ص ٢٨٤ . لدى الحديث عن العادة بالمدينة المنورة عند استهلال ربيع النبوي

٢٦ – المصدر ج ٢ ص ١٧

٢٧ المصدر ج ٢ ص ٣٧ ،وقد أشار السمهودي في " وفاء الوفا" – ج ١ ص ٤٦٤ – الى إنشاء هذه الخزانة ، فذكر : ان السلطان الأشرف قايت باي ، بعث – عام ٨٨٩ – بأحمال من كتب العلوم الشرعية وأوقفها بالمدرسة التي أنشأها جوار المسجد النبوي الشريف .

٢٨ – الرحلة العياشية ج ٢ ص ٩٧ .

٢٩ – المصدر ج ٢ ص ٩٧ – ٩٨ .

٣٠ – المصدر ج ٢ ص ٢٤٠ .

٣١ – المصدر ج ٢ ص ٢٥٧ ، حيث يوجد – أيضاً – وصف لهذا الرباط بالجزء ذاته ص ٩٨ .

٣٢ – ص ٩ .

٣٣ – لا يعرف من ترجمته سوى ما يذكره الغنامي في رحلته ، وينسب له حاشية على كتاب الاكتفا للكلاعي ، وهذه يوجد السفر الأول منها – مبتور الاول – ضمن مخطوطات المكتبة الملكية رقم ٩٥٣ ، حيث يسمى بسليمان بن أبي سلهام الحصيني ،

٣٤ – يشير الورق الشاطبي ، وهو مشهور بطول حجمه .

٣٥ – هكذا ورد مؤلف التفسير المنظوم عند الاسحاقي في رحلته ص ٣٠٩ ، بينما يقدمه مترجموه باسم محمد ، فكأنها سقطت كلمة أبي قبل عبدالله ، وأبو عبدالله هو لقب اسم محمد ، وقد ترجمه المرادي هكذا :

« محمد بن سلامة بن ابراهيم الضرير ، الاسكندري ثم المكي ، المالكي . . . وله تفسير منظوم للقرآن العظيم نظماً في عشر مجلدات ، وغير ذلك ، وكانت وفاته – بمكة – في ذي الحجة سنة تسع واربعين ومائة وألف ، « سلك الدرر » دار الطباعة بالقاهرة ، ج ٤ ، ص ١٢٣ .

وترجمه – أيضاً – الجبرتي في « عجائب الآثار » الطبعة المصرية الاولى ، ج ١ ص ١٦٠ – ١٦١ .

وثالثا : « معجم المؤلفين » ، ج ٩ ، ص ١٠٤ .

ويوجد من هذا التفسير بالمغرب خمس مجلدات : أربعة بالخزانة العامة بالرباط : الثاني والرابع والسادس رقم : د ١٩٥٩ ، والتاسع رقم : ك ١٩٩٧ ، بينما تحتفظ المكتبة الملكية بالمجلد الاخير وهو العاشر فيما يظهر ، رقم : ٥٤٠١ .

ومن هذا العرض يتبين أن عدد أبيات هذا التفسير يرتقي الى عشرات الآلاف ، بينما يذكر الإسحاقي أن ابياته انما تزيد على ثلاثة آلاف ، ولتصحيح الوضع يفترض أن مسودة الرحلة كان فيها العدد بالأرقام ، ثم سقط منه صفر عند النقل الى المبيضة ، فأثبت العدد بالكتابة ناقصا .

٣٦ – ص : ٢٥٠ .

٣٧ – « الترجمانة الكبرى » ، ص : ٢٤٣ .

٣٨ – « رحلة ابن جبير ص : ٩٨ ، ويشير العياشي الى وجود هذه العادة بالحرمين في القرن ١١ هـ، حسب الرحلة العياشية ج ١ ، ص ٢٨٩ : أول الملزمة ٣٧ .

٣٩ – ص : ٧٠ .

٤٠ – ج ١ ، ص : ١٠٠ .

٤١ – « رحلة التجيبي » ص ٤٥٩ – ٤٦٠ .

٤٢ — الرحلة ، ص : ٢٩٥ — ٢٩٧ .

٤٣ — البلوي : المسجد النبوي : ص : ٢٠١ — ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، والمسجد الحرام ، ص ٢١٥ ، ٢١٧ — ٢٢٠ ، والسراج بالنسبة للمسجد النبوي : ص : ٩٩ .

٤٤ — الرحلة العياشية ، ج ١ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٣ .

٤٥ — رحلة اليوسي ، ص : ٤٤ .

٤٦ — انظر عن الكتاب ومؤلفه : مقدمة الطبعة المصرية ، ج ١ ، ص ج — ش .

٤٧ — مقدمة « جغرافية الاندلس وأوربا » من كتاب المسالك والممالك للبكري ، دار الإرشاد في بيروت ، ص ٣٩ .

٤٨ — انظر عن وصفها محمد القاسي : « مصر في مخطوط المسالك والممالك » ، « مجلة البحث العلمي » : العدد ١١ — ١٢ مزدوج ص ٧ — ١٤ .

٤٩ — انظر عن ترجمة الادريسي وبعض مصادرها : محمد المنوني : « الشريف الادريسي » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة التاسعة ، العدد الثامن ، ص ٧٥ — ٨٦ .

٥٠ — « دائرة المعارف البستانية » ، ج ٢ ص ٦٧٥ .

٥١ — ارجع الى « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » : الترجمة العربية ، ص ٢٧٩ ، مع « دائرة المعارف الاسلامية » : الترجمة العربية : ج ٧ ص ١٦ ، ٢٧ .

٥٢ — الظاهر أنه هو محمد بن ابراهيم بن محمد بن حبيب الفزاري ، أنظر ترجمته عند الزركلي في «الاعلام» ج ٦ ص ١٨١ .

٥٣ — ترجمته في « الذيل والتكملة » دار الثقافة في بيروت : بقية السفر الرابع ، ص ١٣٦ — ١٣٩ وهي غير تامة بهذا المصدر ، ووردت كاملة في مختصر الاحاطة : النصف الثاني ، حسب مصورة خ . ع د ١٥٨٢ عن مخطوطة الاسكوريال ، مع مخطوطة تحمل اسم « الاحاطة » في المكتبة الأحمدية بفاس .

٥٤ — انظر عن ابن سعيد وجغرافيته :
مقدمة الطبعة الثانية لكتاب « بسط الأرض » ص ٥ — ٢٨ .

٥٥ — كشف الظنون تصوير مكتبة المثنى ببغداد ج ١ ع ٩٢٠ .

٥٦ — ص ٤٤٧ .

٥٧ — ص ٥٣٠ .

٥٨ — ترجمته في مختصر الاحاطة : المصورة الانفة الذكر عند التعليق رقم ٥٣ ، ثم في « بلغة الأمنية ومقصد اللبيب » ، نشر وتحقيق محمد ابن تاويت ، في مجلة « تطوان » : العدد التاسع ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ، وثالثا عند السيوطي في « بغية الوعاة » ، مطبعة السعادة بمصر ، ص ٦٩ .

٥٩ — « الديباج المذهب » مطبعة المعاهد بالقاهرة ص ٣٣٧ ، ومن الجدير بالذكر أن عام ٧٢٦ الوارد عند ابن فرحون حيث كان الحميري بقيد الحياة ، قد تصحف بمخطوط طبقات المالكية بعام ٦٢٦ ، وهو سهو واضح ، ولذلك وقع اصلاحه في النص المنقول عن هذا المصدر ، واثباته على الصواب .

٦٠ — « صفة جزيرة الاندلس » ص ١٢

٦١ — المصدر ، ص ١٨٥ .

٦٢ — مخطوط خ . ع ، ق ٢٣٨ ، ص ٧٩ .

٦٣ — « كشف الظنون » ج ١ ع ٩٢٠ .
٦٤ — مطبعة وكالة المعارف باستنبول عام ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م .
٦٥ — « نفح الطيب » : الطبعة المشار لها آخر التعليق رقم ٢١ ، ج ٢ ص ٥٢٧ .
٦٦ — ترجمته في نفح الطيب ج ١ ص ٥٠٧ — ٥١١ و ٥٦٥ — ٥٧٠ .
٦٧ — له ترجمة موسعة عند محمد الفاسي : مجلة الايمان : السنة الثالثة ، العدد التاسع ، ص ٤٩ — ٥٣ ، حيث يرد ذكر المصادر الاولى لترجمته .
٦٨ — ترجمته بالمخطوطة التي تحمل أسم الاحاطة : نسخة المكتبة الاحمدية بفاس ، ثم في « الدرر الكامنة » ج ٣ ص ٤٨٠ — ٤٨١ ، وفي شرح القاموس يجعل بطوطة كسفودة بالتشديد ، حسب تاج العروس ج ٥ ص ١٠٩ .
٦٩ — وردت ترجمته بعدد من المصادر ، آخرها عند محمد بن محمد مخلوف التونسي : في « شجرة النور الزكية » : المطبعة السلفية ، ص ٢٢٩
٧٠ — عقد له ابن ابراهيم المراكشي ترجمة لخص فيها رحلته حسب « الاعلام » بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » : المطبعة الجديدة بفاس ، ج ٤ ص ٢٧٣ — ٢٧٧ .
٧١ — ترجمته عند الكتاني في « فهرس الفهارس » : المطبعة الجديدة بفاس ، ج ٢ ص ٢١١—٢١٣
٧٢ — ترجمته بنفس المصدر ج ٢ ص ٤٦٤ — ٤٧٠ .
٧٣ — هو محمد العياشي : الابن الثاني لأبي علي اليوسي ، وقد ورد ذكره عند ترجمة شقيقه محمد من « سلوة الانفاس » : المطبعة الحجرية الفاسية ، ج ٣ ص ٨١ ، وانظر عنه — أيضاً — محمد المنوني : « الوارقة المغربية في العصر العلوي الأول » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد العاشر ، السنة السادسة عشرة ، ص ٨٨ ، مع « الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » ، ج ٥ ص ١٠ — ١٢ .
٧٤ — لا تزال ترجمته غير معروفة ، ورحلته ورد ذكرها ضمن مصادر « صفوة من انتسر » للأفراني : المطبعة الحجرية الفاسية ، ص ٢٨٨ .
٧٥ — هذا هو الاسم الذي سماه به الطبري شيخ المقام الخليلي في أجازته له ص ٢٩٦ من الرحلة ، وباسم محمد خاصة ، ذكره ابن عتيلة في أجازته له ص ٢٨٩ ، وترجمه ابن زيدان باسم عبد القادر الجيلاني في « اتحاف اعلام الناس » : المطبعة الوطنية بالرباط ، ج ٥ ص ٣٣٠ — ٣٣١ ، حيث أرخ وفاته بعد عام ١١٥٠ هـ .
٧٦ — تاريخ وفاته مأخوذ من مقيدة آخر الرحلة ص ٢٨٠ .
٧٧ — ترجمته في « فهرس الفهارس » ج ٢ ص ٢١٩ — ٢٢٣ ، ثم « بالاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » ج ٥ ص ١٨٩ — ٢٣٣ ، حيث اثبت ملخصاً لرحلته الكبرى .
٧٨ — من مصادر ترجمته فهرس الفهارس ج ١ ص ٢٣٠ — ٢٣١ .
٧٩ — نشرت الرحلة الهوارية في المطبعة الرسمية بالرباط عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م في ٣١٠ ص . حيث يقع التقريظ المشار له ص ٢٩٢ — ٢٩٧ .
٨٠ — مطبعة دار الكتاب بمدينة البيضاء ، ج ٢ ص ٣٣٣ — ٣٧٠ .
٨١ — مجلة دعوة الحق السنة الثانية : أعداد ٢ ، ٣ ، ٤
٨٢ — من مصادر ترجمته نشر الثغر الثماني للقادري : المطبعة الحجرية الفاسية ج ١ ص ١٤٠ — ١٤٢ .
٨٣ — ترجمته في سلوة الانفاس ج ٢ ص ٧٢ — ٧٣ .

٨٤ — ترجمته بنفس المصدر ج ٣ ص ٤ — ٥ ، والديوان من جمع ابنه محمد الطالب .

٨٥ — يقول صاحب الاستقصا في هذا الصدد :

ولما استولى ابن سعود على الحرمين الشريفين ، بعث كتبه الى الافاق كالعراق والشام ومصر والمغرب ، يدعو الناس الى اتباع مذهبه ، والتمسك بدعوته ، ولما وصل كتابه الى تونس ، بعث مفتيها نسخة منه الى علماء فاس ، فتصدى للجواب عنه الشيخ العلامة الأديب : أبو الفيض حمدون ابن الحاج .

قال صاحب الجيش : كان تصدي الشيخ أبي الفيض لذلك الجواب ، بأمر السلطان وعلى لسانه ، وذهب بجوابه ولده المولى ابراهيم بن سليمان حين سافر للحج .

ويعلق الناصري على فقرة « الجيش » : بأن هذا يقتضي أن كتاب ابن سعود ورد على السلطان أبي الربيع بالقصد الاول ، لا أن نسخة منها وردت بواسطة علماء تونس ، حسب « الاستقصا » : المطبعة المصرية ، ج ٤ ص ١٤٤ — ١٤٦ .

ويلاحظ على هذا المصدر — أولا — على قوله بواسطة علماء تونس ، والصواب بواسطة مفتيها .

كما يؤخذ عليه تسمية باعث الرسالة بابن سعود ، وهو سبق قلم عن سعود : الاسم الذي ورد بالقصيدة الحمدونية ، وفي تأليف الشيخ الطيب ابن كيران آتي الذكر ، وبالترجمانة والجيش ، وأيضا فان سعودا الكبير كان لا يزال بقيد الحياة عند حجة الأمير المغربي عام ١٢٢٦ هـ ، وانما توفي عام ١٢٢٩ هـ ، حيث بويع ولده الأمير عبدالله بن سعود .

وبعد هذا نشير الى أن الشيخ الطيب ابن كيران ، كتب — بدوره — جوابا عن الرسالة السعودية بأسلوب نثري ، وكان على لسان السلطان أبي الربيع ، الذي بعث به — أيضا — الى الحجاز مع ولده الأمير ابراهيم في حجته المشار لها وشيكا ، وجاء افتتاح الرسالة المغربية هكذا :

« من ملكه الله ازمة العرب وقيادتها ، فأحسن سياستها ، وأصلح سيرتها ، ومهد بلادها ، ويسر على يده — حسنة أمن السابلة من القطاع والنهاب ، وتيسر وصول الحجاج والعمار والزوار الى نيل الاوطار والآراب ، فأصبح وقد احرز — بذلك — الثناء والثواب ، وحصل — به — في الدارين افضل جزاء وحسن مثاب ، أخونا في الله . . . »

تقع هذه الرسالة في خمس صفحات من الحجم القريب من المتوسط ، كتبها — من خط منشئها — احد تلامذته ، وهي بالمكتبة الملكية أول مجموعة صغرى رقم : ٤٦٢٤ .

وجاء بهامش الصفحة الأخيرة منها بخط ناسخها : أن مؤلفها اختصرها من رسالة له مطولة تزيد على أربعة كراريس .

وقد تكون هذه الرسالة هي نفس تأليف ابن كيران المنشور بهامش كتاب « إظهار العقوق » بمطبعة التقدم العلمية في مصر عام ١٣٢٧ هـ ، وفيه يذكر أنه وصل للمغرب رسالتان لسعود بن عبد العزيز : صغرى نحو ورقتين ، وكبرى نحو كراسة ، حيث رد المؤلف ذاته على الرسالتين معا بالتأليف المشار له ، في أسلوب انتقادي يخالف منهجيته في رسالته على لسان أبي الربيع .

ونختم هذا التعليق بالإشارة الى ما يستنتجه مؤلف الاستقصاح ج ٤ ص ١٤٦ ، حيث يسجل أن السلطان أبا الربيع كان يرى شيئاً مما تنادي به الدعوة السعودية ، وتجاوبا مع ذلك كتب رسالته المشهورة .

٨٦ — لا يعرف عن ترجمته إلا ما يستنتج من تاريخه .

٨٧ — ترجمته بالقطعة المنشورة من سادس « الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام ، ص ١٩ — ٢٨ .

٨٨ — ترجمته عند محمد بن علي دنية في « مجالس الانبساط . بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط » مخطوطة م . م ٧٧٩ . مع « الاغتباط . بأعلام الرباط » لمحمد بوجندار ، مخطوط خ . ع د ١٢٨٧ .

توضيحات

ترد بهذه الدراسة إشارات كالتالي :

خ . عد : الخزانة العامة بالرباط ، بالنسبة لمخطوطاتها القديمة .

خ . عك : نفس الخزانة : مخطوطات المكتبة الكتانية .

خ . عق : نفس الخزانة : مخطوطات الاوقاف .

م . م المكتبة الملكية بالرباط .

م . مز المكتبة ذاتها : المخطوطات الزيدانية .

★ ★ ★